كُتب الأنساب وتاريخ الجزيرة

للدكتور عبد العزيز الدوري
(عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني)

١ ــ لا يُراد هنا بيان اهمية النسب ودَوره في الحياة العربية ، وتكفي الاشارة الى انه كان بصوره المتعددة اساسيا في حياة القبائل قبل الاسلام، وعاملا بعيد الاثر في الحياة العامة بعد الاسلام . واذا كانت ظروف الحياة في البادية تؤثّر في حجم الكيانات القبلية، بتحديدها أو بتوسيعها عن طريق المحالفات وتداخل الأنساب، فان الأنساب في العصر الاسلامي أثّرت في تنظيم الديوان ، وفي التمصير ، وفي تنظيم المقاتلة ، كما اثّرت (وتاثّرت بدورها) بالظروف السياسية في الدولة الاسلامية، وبالصراع على السلطة . وخلال ذلك كله كانت العناية بالنسب كبيرة، والتأكيد عليه واضحا .

ظهرت العناية بالانساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الاول للهجرة ، وتمثلت في مرحلتها الاولى بوجود نسّابينَ في كل قبيلة ، وبوجود كُتُب لدى القبائل بأنسابها واخبارها واشعارها . ويشير الهمداني الى وجود سجلات (زُبُر) لدى عرب اليمن بأنسابهم اطّلع على بعضها (الاكليل ج ١٠ ص ٧٠ ــ ١ وص ١١١) .

وظهر نسّابون وسّعوا اهتمامهم الى اكثر من قبيلة، وبدأُوا بجمع انساب القبائل في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ، جنبَ الاهتمام بنسب قريش خاصة ؛ كما ظهر بين النسّابين من اهتمّ باخبار القبائل مع انسابها، فاسهموا في الدراسات التاريخية . وفي طليعة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (انظر

ابـن النديم ص ٩١ عن اهتمام الوليد بن يزيد بالانساب ؛ والاغاني ج ١٩ ص ٥٩ عن اهتمام خالد القسري بهـا) .

ولـم تصلنا مؤلفات من الانساب الاّ من القرن الثالـث ، في مقدمتهـا "جمهرة النسب" لهشام بـن السائـب الكلبـي ، ثم "نسب قريش" لمصعب الزبيري (وقطعة من جمهرة نسب قريش واخبارها لابن اخيه الزبير بن بكار ٢٥٦هـ) . وتبـلغ الكتابة في اطار النسب اوجهـا عند البلاذري (٨٩٢/٢٧٩) . وستتناول الملاحظات التاليـة المؤلفات الثلاثة المذكـورة :

٢ ـ وجمهـرة النسب لابن الكلبي (٨١٩/٢٠٤) كتـاب شامل في انساب العـرب (اطلعنا على مخطوطين لـه : الاول مخطوط المتحف البريطاني ؛ فيـه انساب عرب الشمال، ونسب الازد، وعنوانه جمهرة النسب (ونرمز لـه بـ ق ١) ، والثاني مخطوط الاسكوريال، وفيه نسب ربيعة، ثـم انساب القبائل اليمانيـة؛ وعنوانه : كتـاب النسب الكبير (ونرمز لـه بـ ق ٢) .

ويبـدو ان "جمهرة النسب" جـاء برواية محمد بن حبيب (انظر ق ١ ص ٢ ب ، ١١٩ أ ، ١٩٤ أ) ، في حين ان كتـاب النسب الكبير جـاء عن ابن الكلبي مباشرة . كمـا يبـدو ان ترتيب القبائل لا يخلـو من اختلاف بين المخطوطين ؛ ففي حين ترد الازد اول القبائـل اليمانية في جمهرة النسب ، يبـدأ كتاب النسب الكبير بكندة (ق ٢ ص ٨٧) ويتناول مجموعة من القبائـل قبل ان يتناول الازد (ق ٢ ص ٢٥١) . وهـذا يتطلب دراسة مقارنة لتكوين فكرة عن اثـر الرواية في تناقل الكتـاب .

ويـرد في آخر النسب الكبير : « آخر كتاب نسب معـد واليمن الكبير، تاليف محمد بـن السائب الكلبي » (ق ٢ ص ٥٢٨) . وهذا يناقض ما جـاء في مطلع الكتاب وفي ثناياه ؛ وهو غـير دقيق بالنسبة لكتابنا، ولكنه لـه دلالته . فهل وضع الكلبـي كتابـا في الانساب ؟

لقـد درس الكلبي (٧٦٣/١٤٦) انساب العـرب وحاول جمع

الروايات القبلية من نُسّاب القبائل ، ومن افضل نُسّابه في كل قبيلة ، كما افاد ؛ ورجع الى شعر النقائض ، خاصة نقائض الفرزدق . وقد افاد ابنه هشام من دراساته واتمها في وضع كتابه (الدوري — بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ٤٠ — ١) . ولكن لم ترد اشارة الى كتاب له . الا أن الاشارات في ثنايا الكتاب تشعر بانه وضع كتابا ؛ فقد جاء : « وفي كتاب الكلبي » (ق ١ ص ٧٤٩) و « عن كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » (ق ١/١١٨ أ) ، و « هذا ليس من كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب) ، و « وقال ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي » (ق ١/٦٤ أ ، ٧٠ ب) ، و « عاد الى كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب ، ٧١ أ) و « رجع الى حديث الكلبي » (ق ٢/١٤٢ ، ١٤٤) . هذا اضافة الى اشارات مثل « قال الكلبي » (ق ١/٤٨ ب) التي قد تشير الى الاخذ من كتاب او شفاهيًا .

وهكذا يتبين أن محمد بن السائب الكلبي وضع كتابا في النسب (ويبدو أن عنوانه : نسب معدّ واليمن الكبير) ، وان ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع الهجرة (ق١/٢ب). ومن ثنايا الكتاب (ق ١/٦٠ أ : « نسب ولد طابخة بن مضر بن نزار بن معدّ ، عن الكلبي » ، وفي ق ٢/٨٥ : « وابنه هشام بن محمد بن السائب الراوي عن ابيه ») .

واضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه ، كما يتضح من بعض الاشارات . مثلا : « قال ابن الكلبي : حدثنا خراش قال : سمعت اشياخا لبكر بن وائل يقولون » (ق ١/١٩٤ أ) ، و « قال هشام بن الكلبي ، قال خراش : كانوا .. » ، (ق١/١٧٢ أ) و « قال هشام بن محمد الكلبي ، حدثنا ابو خباب الكلبي عن يحيى بن عروة بن هانيء المرادى .. » (ق ٢/٨٥ — ٦) . وعند الحديث عن أم « عايذ بن ثعلبة » يرد « وامه اسماء ، وهي الجذماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة .. وكان شرقيّ بن القطامي يقول : هي الجذماء بنت علبة .. بن عميرة بن اسد . قال هشام :

وهذا من قولـــه باطل لا يعرف ، والقول هو الاول » (ق ١/١٩٥ أ). ويرد ذكر بعض من أخـــذ عنهم ابن الكلبي ، فعند الاشارة الـــى لقيط الرواية يقول ابـــن حبيب :« وكان صدوقا .. وقد لقـــي هشام ابن الكلبي لقيطـــا » (ق ١/١٦٣ ب) ، وعند ذكر العلاء بن المنهال (من غني بن اعصر) يُرد:« كان شريفا لقيه ابن الكلبـــي وكان يحدث عنه » (ق ١/١٨٩ أ) . وفي ذكـــر مسيك المرادي يرد: « قـــال هشام بن محمد بن الكلبي،حدثنا ابـــو خباب الكلبي ..الخ » (ق ٢/٦) . ويشار الى بعض من لقيهم ابـــن الكلبي،مثل عرفاء بن مصاد بن شريح،« وقد لقيـــه هشام بن الكلبي في زمان ابـــي جعفر وهو ابـــن تسعين سنة،وكان بدويـــا » (ق ١/٢٠٤ أ ، وانظر ق ١/٧٨ أ عن الشاعر ابـــي الشعب) .

وقـــد ترد اشارات الى انساب لم يذكرها الكلبي ، مثـــل « وولـــد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيما .. ولـــم يذكـــر الكلبي ولـــد تيـــم » (ق ١/٢١٥ أ) ؛ و « هؤلاء بنـــو الهجيم بن عمرو بن تميم ، ، وليس هـــذا عن الكلبي » (ق ١/٩٣ أ) . أو تـــرد تعديلات ؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر : « وعبـــد الرحمن بن ابـــي ليلي .. كان مولى الانصـــار، فدخل فيهم ابـــن احيحة،في قول الكلبي ؛ واما ولـــده فقالوا اسمه داود بن بلال بـــن احيحة » (ق ١/٥٩ أ) .

ويبـــدو أن محمد بن حبيب قـــام ببعض التدقيق أو الاضافة في روايتـــه ونشره لجمهرة النسب ، كمـــا يتبـــين من بعض الملاحظات مثل « قال ابـــو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبـــي، كتبته من بعض ولـــد عطارد » (ق ١/٦٤ أ) ، ومثل « وكـــان في اصل كتاب الكلبي خلف بن معشر، ولـــم يكن فيه بـــدر وعتبة ، وبدر من كتاب ابـــن الاعرابي (٨٤٦/٢٣١) » (ق ١/٤٧ ب) . وتتكرر الاشارات لأخذه من كتاب ابـــن الاعرابي ؛ « وفي كتـــاب ابـــن الاعرابي محتلم ابن حثابة مكان ليث » (ق ١/٩٠ أ ، وانظر

٤٩ ب ، ٤٨ ب ، ٤٧ ب) ، ومثل قوله « وهو أبو عبد الله بن عنمة . قال ابن الاعرابي قتمة ، وقال الكلبي قثمة » (ق ١/١١٣ ب) .

وينسب الكلبيان الى التشيع ؛ ولا نجد في الكتاب ما يشعر بذلك الا في ملاحظات قليلة عرضية (انظر ق ١/٧٠ أ ، ٦٧ أ ، ٨٠ أ ، ١٠٧ ب وخاصة ٢٥٦ أ) وفي الاهتمام بذكر من قتل مع علي ، والحسين ، وفي حركة المختار . ولكن الكتابة تتسم بالدقة والموضوعية بصورة عامة .

٣ ــ ولجمهرة النسب اهمية كبيرة في ذكر الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية الى ايام المأمون (ق ١/٢٠٣ ب ــ ٢٠٤ أ) ، مع تعليق موجز أو اشارة مركّزة تبيّن دَور من ظهر في الحقول المختلفة ــ من كان شريفا او سيدا في قومه ، ومن برز في يوم من ايام العرب ، ومن كان فارسا ، ومن وفد على النبي (ص) أو صحبه ، ومن استشهد في مغازي الرسول (ص)، خاصة بدر واحد ، ومن استشهد في الردّة ؛ كما ذكر بعض من قُتل في ايام العرب الكبرى في الاسلام،كالقادسية واليرموك والجمل وصفّين .

ويُعنَى المؤلف بصورة خاصة بالاشارة الى من تولّى مناصب مسؤولة،من امراء وعمّال، وقادة،واصحاب شرط،وقضاة . وهو حريص على ذكر الشعراء في القبائل . وبالاضافة فهو ينوّه بمن تميّز في مجالات اخرى،مثل الخوارج ، ونقباء الدعوة العباسية ؛ وبمن تميّز في حقول الثقافة،كالفقه والنحو والانساب . وهو ينفرد بعد هذا ببعض الملاحظات او المعلومات التي لا تَرِد عند غيره .

ولعلّ امثلة من الاشارات والملاحظات التي يوردها توضح طبيعة اخباره . فمن اخبار الجاهلية ــ امثلة : « منهم سعد بن

خسفان بن ظالم،كان سيد بنـــي سعد في زمانه .. وكان جاهليًّا » (ق ١/٨٤ أ ــ ب) . هوذة ابن علي بن تمامة (من بنـــي سحيم) وكان يجيز البرد لكسرى حتى تبلغ نجران ، فاعطاه كسرى قلنسية قيمتهـــا (٣٠٠٠٠) درهم » (ق ٢/٣٥) . « ومنهـــم (الازد) السموأل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب ؛ كان من أوفى العرب،وهو صاحب تيمـــاء،وولده بها الى اليوم » (ق ١/٢٤٨ أ) . « وحارثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح ؛ كان على بكر بن وائل يـــوم أوارة ، يـــوم قاتلت بكر بن وائل المنذر بن مـــاء السماء (ق ١/ ١٩٦ أ) .

ومـــن الفترات الاسلامية ــ امثلة : « ابو رحم؛وهو كلثوم بـــن الحضين بن عتبة بن خلف .. استخلفه رسول اللـــه في غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينـــة » (ق ١/٤٩ أ) .

« وشرحبيل بن السمط بـــن الاسود .. شهد القادسية ؛ جاهليّ اسلامي ، ووليَ حمص؛وهـــو الذي قسمها منازل حـــين افتتحها » (ق ٢/٩١) . « ممـــن بني سعد بن مرة (ذهل) المثنى بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهران » (ق ١/٢٠٠ أ).

« ممـــن بني بهدلة عوف بن حصين؛وهو الزبرقان بن بدر .. الذي أدى الصدقة الى ابي بكر في الردّة » (ق ١/٨٩ أ) .

« ان سليمان بن كندير وَلاّه عثمان نجران (من قشير بن كعب) » (ق ١/١٣٦ أ) « منهم (مازن بن منصور) عتبة بـــن غزوان .. الذي فتح البصرة،وكانت يومئـــذ البصرة (كذا) ، وهو الـــذي بصر البصرة » (ق ١/١٥٧ أ) .

« ومـــن بني عمرو بن امرىء القيس .. عامر بن النعمان بن عامر الشرقي؛وهو الوليـــد بن القطامي .. النسّابة ؛ كـــان في صحابة المنصور والمهدي » (ق ٢/٤٣٧) وانظر (ق ١/١٦٣) .

« لقيط الرواية وكـــان صدوقا » . « منهم سعيد بن الخنس بـــن عمارة .. وكان فقيهـــا بالكوفة » (ق ١/٨٣ أ) . انظـــر ق ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ق ١/١٠٨ ب) .

« علـــي بن ظبيان بن هلال بن قتادة (غطفان) قاضي القضاة لهارون الرشيد على الشرقية ، وكـــان ولاّه الخاتم مع محمد بـــن هارون ، وولاّه قضاء القضـــاة » (ق ١/١٧٠ أ) .

« عبد الله بن الطفيلي بن ثور ، شهد مع علـــي مشاهده .. وهو جـــد البكائي صاحب المغازي » (ق ١/١٤٢ ب) .

« لاهز بن قريظ النقيب بن سرى الكاهن ؛ قتله ابـــو مسلم لقوله لنصر بن سيار : ان المـــلأ يأتمرون بك » (ق ١/٨٥ ب . وانظر ٨٦ أ عن القاسم بن مجاشع النقيب ، و ٨٥ ب عن موسى بـــن كعب النقيب) .

« ابـــو بلال مرداس ، واخوه عمرو ابنـــا مدبر بن عمرو .. وامهما امية ، وهما الخارجيان » (ق ١/٧٦ ب وانظر ق ٢/٣٤١) . « راسب بطن منهم عبد الله بن وهب الخارجي قُتِـــل يوم النهر » . اشارات اخرى (ق ١/١٩٨ب ، ١٩٩ ب ، ٢٣٠ب ، ٧٨ب ـــ ١٨٠ أ) .

« مـــن ولده (مخنف بن سليم الأزدي) ابـــو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن عنف الراوية » (ق ٢/٣٢٤) .

« شرحبيل بن معدي كرب .. وفـــد الى النبي (ص) وكـــان في الفـــين وخمسئة (من العطاء) » (ق ٢/٩٠ وانظر ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، وانظر ق ١/٨٣ أ عن حجر بن عدي « وكـــان في ٢٥٠٠ ») .

ويشـــير الـــى الشعراء (انظـــر ق ١/٢٠٨ أ ـــ ب ، ٢٠٩ أ ، ٢١١ أ ـــ ب) ، ويورد مقتطفات مـــن شعرهـــم (انظـــر ق ١/١٣٨ أ ، ١٥٣ أ) هي في العادة بين بيـــت وثلاثة ابيات ، وقد تصل الى خمسة او ستة ابيـــات .

ويشـــير ابن الكلبي الى عدد كبير من ايـــام العرب في معرض حديثه عن شريف أو فارس ؛ مثل قولـــه : « فمن بني عمرو بـــن ربيعة هانيء بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يـــوم ذي قار » (ق ١/١٩٧ أ) . و « منهم عبّـــاد بن مسعود بن عامر، الـــذي هاج القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف » (ق ١/١٩٦ أ ــ ب). و « ومـــن بني عتبة بن سعد .. صاحب مقدمـــة كليب يوم خزار » (ق ١/٢٢٨ أ) . أو تـــرد الاشارة بمناسبة قتـــل شريف، مثـــل « ويزيد (غطفان) قاتل كهف الظلـــم الغساني يوم جبل فيـــد » (ق ١/١٧٢ ب) ، أو لحادث ذي صلة مثـــل « ضبيعة بن الحارث بن خلف .. الذي يقول لـــه عامر بن الطفيل، وطعنه يوم النتاءة .. » ق ١/١٨٦ أ) .

ومـــن الايام التي يشير اليها يـــوم أوراة (ق ١/١٩٦ ب) ويـــوم الجلاة (ق ١/١٨٨ أ ــ ب) ويـــوم جبلة (ق ١/١٧٨ ب ــ ١٢١ أ) ويـــوم الذنايب (ق ١/٢٢٦ ب) ، ويـــوم الكـــلاب (ق ١/١٣٠ب ، ٢٢٧ب ، ق ٢/١٨١) ، ويوم قصة (ق ١/٢٠٧ب)، ويـــوم اللصاف (ق ١/١٩٧ أ ــ ب) ، ويوم التحالق (ق١/١٩٦ أ)، ويوم النجير (ق ٢/١٠٤) ، ويـــوم الاجفر (ق ٢/١٥٥) ويـــوم صفاق (ق ٢/١٨٥) ، ويوم فيف الريح (ق ٢/١٨٨) ، ويـــوم الآخرين (ق ٢/١٩٠) ، ويوم الزرم (ق ٢/١٩٠) ، ويوم بعاث (ق ٢/٢٦١) ، ويوم عين التمر (ق ٢/٦٢) ، ويـــوم النفار (ق ٢/١٦٣) ، ويـــوم الكلاب الثاني (ق ١/٩٨ أ) ، ويـــوم القريتين (ق ١/١٢٤ أ) ، ويـــوم الحاجر (ق ١/١٣٣ أ) ويـــوم الرقم (ق ١/١٢٢ ب) ، ويـــوم النحيل (ق ١/٢٣٠ ب) ، ويـــوم المذيار (ق ١/١٣١ أ) ويوم ذي علـــق (ق ١/١٢٢ ب ــ ١٢٣ أ) .

ويتنـــاول الكثير من شؤون القبائل ، فيورد ملاحظات عـــن دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة اخرى ، وبذلك يعدل مـــن النظرة بأن النسب كلـــه لأب واحد ، سواء أكان هذا الدخـــول

لاسباب قبلية او معاشية او سياسية . فعند الحديث عن نسب اياد بن نزار يقول:« وولد زهير بن اياد حذاقة والشلل دخل في تنوخ ، وعبد الله دخل في بني تميم ، وعمرا دخل في بني الصم » (ق ١/٢٤٢ ب) . ويذكر عن ولد ربيعة بن نزار : « واكلب دخل في خثعم ، وهم رهط طائش بن حراك الشاعر ، .. وعابسة وهم باليمن » . ثم يقول « واماضنة فانهم دخلوا في بني عذيرة بن سعد بن هزيم بن قضاعة » (ق ٢/٥) . وعند الحديث عن غزارة بن ذبيان يقول ، « ومنهم بيهس واخوته التسعة .. لحقوا ببطن من مذحج .. وهم اليوم ينسبون في عنس بن مالك بن مذحج » (ق ١/١٧٦ أ) . وعند الحديث عن جذام يقول: « فولد اسلم بن مالك عنب ، وهم اليوم في بني شيبان » (ق ٢/١٣٣) . وعند ذكر سعد العشيرة يقول:« وولد زيد الله ابن سعد العشيرة،عامر واشرس والديل وعوف ، فدخل اشرس والديل وعوف في بني تغلب ، واقام عامر بن زيد الله على نسبه،فمنه تفرقت زيدان » (ق ٢/٢١٦) . وعند الحديث عن قبائل الازد يقول:« فولد بكر بن يشكر عامر .. وسعد وعوف والحارث .. دخلوا في بني زبيد » (ق ٢/٣٣٧ وانظر ق ١/١٨٣ أ . وانظر الحديث عن قيس عيلان ق ١/١١٩ ب ، وعن دخول بني عمرو بن جنحود، من حضرموت،في تميم . انظر ق ١/٨٨ أ ، وانظر ق ١/٨٧ ب) .

واذا كانت هذه المعلومات تكشف عن بعض التداخل في النسب لاسباب سياسية أو اجتماعية،فانها تؤكد الاهتمام بالنسب ورصده بتدقيق المعلومات عن الانساب .

ويذكر ابن الكلبي معلومات اجتماعية عن اسماء القبائل وعاداتها وتقاليدها ، وبعضها له أهمية خاصة . ففي اسماء القبائل يذكر مثلا سبب تسمية أعصر (بن سعد بن قيس عيلان ق ١/١٦٥ أ ـ ب) ، ويوضح ظروف تسمية ابناء تميم (زيد ، مناة ،

عمرو ، الحارث)(ق ١/٩٥ أ) ، وسبب تسمية الرباب بهذا الاسم ومـــا يشمله (ق ١/٩٦ ب ــ ٩٧ أ) .

وهـــو يركز معلوماته احيانا ، ففي قصة حوار مع تميمي من فخذ بني عبد اللـــه بن دارم ، يرجع نسب الاسرة في تدرج متسلسل، مع وصف كل خطوة،حتى ينتهي الـــى مضر (ق ١/٩٥ أ ــ ٩٦ ب) .

ويشـــير الى بعض الأعراف القبلية ، فيتحدث عن نوع مـــن القسم ؛ قـــال خراش،« كانوا يحلفون بالملـــح والرماد والنار، وبذات الودع ، يريدون سفينة نـــوح » (ق ١/١٧٢ أ) . وعنـــد ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يـــد أخيه معاوية يضيـــف : « فوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الابل ، وانما جعلها مئـــة لعظم الابل عندهم ليتناهوا عن الدمار ، فهي أول ديـــة كانت في العرب مئـــة من الابل حكم عامر بن الظرب حكما جاريا » (ق ١/١٢٠ أ) . وعنـــد ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة (من خزاعة) يقـــول : « وهو الذي بحـــر البحيرة،وسيّب السائبة،ووصل الوصيلة،وحمى الحامي،وغيّر ديـــن اسماعيل ، ودعا العرب الى عبادة الاوثان » ، « وكـــان صاحب الكعبة » (ق ٢/١٩٥ ، ١٩٩) ؛ وعنـــد الحديث عن حجر بن يزيد بن معديكرب بن سلمة (من بني سلمة بـــن الحارث) يسميه « صاحب مرباع بني هند » ، ويضيف ، « والرباع ان يأخذ الربع مـــن الغنيمة ، وعليه طعام الجيش لأخـــذه الرباع » (ق ٢/١٠٦) .

ويـــورد ابن الكلبي معلومات طريفة ، فيتناول مثلا المغتربات من بني هاشم ، أو اللواتي تزوّجن في قبائل اخـــرى ، مثل الانصار وخزاعة وعامر بن صعصعة وآل معدي كرب،مـــن حمير والقين وسليم ولخم وغزارة ؛ وهـــو استطراد يبين سُعة الروابـــط القبلية لقريش،ويؤكد مـــا قيل في السقيفة من أن قريشـــا أوسط العرب انسابا (ق ١/١١٥ ب وما بعدهـــا) . ويذكر ان قيســـا

(من ولـد منبه بن بكر بن هوزان) وهـو ثقيف كان « أول مـن جمع بين أختين من العـرب » (ق ٢/١٥٣) .

ويقـدم ملاحظة عن بدايات الخـط العربي في الجزيرة،في معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك،اخ اكيدر (في دومة من كلب) اذ يقول:« وهو الذي علّمـه اهل الانبار خطّا ، هذا الذي يسمى الجزم،وهو كتاب العربيـة ؛ وكان اول من كتبه قوم من طي ببقة، فعلّموه اهـل الانبار ، فعلّم اهل الانبار اهل الحيرة ».وكـان بشر بن عبد الملك يأتي الحيرة بحال النصرانية فيقيم بهـا الدهر، فتعلمه بشر بن عبد الملك.ثـم شخص الى مكـة في تجارة فعلّمه أبـا سفيان بن حرب بن امية ــ وأبـا قيس بن عبد مناف بـن زهرة،وتزوج الصهباء بنت حرب بن اميـة ، ثم اتى الطائف فعلمه غيلان بن سلمة الثقفي ، ثـم اتى بادية مضر فعلمه عروة بن زرارة الكاتب،ثم اتى الشام فعلّمهـم » (ق ٢/١٢٦) .

ويورد ابن الكلبي احيانـا معلومات عن مواطن القبائل ؛ فعند ذكـر بني اسود بن مالك (بطن من بني مالك بـن ثعلبة) يقول انهم « أصحاب النخـل باليمامة الذي يصرم في السنـة مرتين ، دعا لهـم النبي (ص) » (ق ١/٢٢٥ أ) . كما يـورد اشارات الى انتقال القبائل الـى الامصار ؛ فعند الحديث عـن عشائر الازد يقول:« وآل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقـال لهـا عين حرما » (ق ٢/٣٤٢) . ومكّنته معرفته بالكوفة مـن تعداد الكثير من العشائر والبطون التي اقامت بها ولها مسجـد ، وقائمته مهمة وغنية . ومن هـذه : ذهل بن معاوية (من كندة) لهـم مسجد (ق ٢/٨٨) ، وامرؤ القيس بـن الحارث (بطن من كندة) (ق ٢/٨٩) ، ومالك بن الحارث ، والطمح بـن الحارث (ق ٢/٨٩) وامرؤ القيس بن معاوية بن عدي (بطن (ن . ص) ، ومالك بن ربيعة (بطن) (ن . ص) ومالك بن ربيعة (بطـن) (ق ٢/٨٩ ــ ٩٠) ، وجبلة بن عدي بن ربيعة (بطن) والحارث بن

عدي (ق ٢/٩٠) ، ومرة بن حجر بن عدي بن ربيعة (بطن) (ق ٢/٩٢ كندة) ، وعمرو بن ربيعة من ولد وهب بن ربيعة بن معاوية (بطن) ، وابو الخير وهب (بطن) (ق ٢/٨٥ كندة) ، والارقم بطن من ولد نعمان بن عمرو (ق ٢/٩٦ كندة) ، وشجرة (بطن) من ولد معاوية بن ربيعة بن وهب (ق ٢/٩٨) . ومن البطون الاخرى التي لها مساجد،سلمة وهو الحر (بطن) من ولد عمر بن ابي كرب (ق ٢/١٠٣) ، وبهدلة (بطن) من ولد المثل بن معاوية (ق ٢/١٠٣) . وفي الحديث عن النخع بن عمرو يشير الى بطني جذيمة وحارثة،ولكلٍّ مسجدٌ بالكوفة (ق ٢/١٩٤) . ويذكر بني مسلية (بطن) من بني الحارث بن كعب ولهم مسجد (ق ٢/٩٣) ويذكر من بجيلة قيس وأوس وعود،لهم بالكوفة مسجد،وعدادهم في قيس (ق ٢/٢٤٦) . ويتحدث عن ولد معاوية بن ثعلبة فيذكر زبان « بطن بالجزيرة »،ويضيف « وبالكوفة اهل بيت وملك وهو تراغم بطن،وبرعم بطن،لهم بالكوفة مسجد » (ق ٢/١٢٨ — ٩) . وهكذا يعطي صورة عن بطون اليمانية بالكوفة .

ويتحدث عن اتجاه قبائل سبأ في خروجها،ويضع خبره في اطار حديث،ينسب للرسول ، فيذكر أن سبأ ولد عشرة،فتشاءم اربعة،وتيامن ستة ؛ فالذين تشاءموا:غسان ولخم وجذام وعاملة ، والذين تيامنوا:حمير والازد ومذحج وكندة والاشعر وانمار ، الذين منهم بجيلة وخثعم (ق ٢/٨٥ — ٦ ، وانظر ق ٢/٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقة عن حركة اليمانية .

وختاما يمكن القول ان ابن الكلبي يعطي تعليقات سريعة مع الاسماء ، ويورد أحيانا ملاحظات أوفى ؛ وهي في مجموعها تعطي فكرة شاملة عن القبائل ورجالها البارزين في الحقول المختلفة .

هـذه الملاحظات واسعة نسبيا لاعطاء فكرة شاملة عن دراسات الكلبيين ، التي تناولت عرب الشمال وعرب الجنوب، ولان الكتاب لم ينشر ، ولا بد من التنويه بجهود كاسكل ، في تحويل الكتاب الى جداول ، وفي مقدمته المسهبة .

(W. Caskel - Gamharat An-Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al-Kalbi, 2 vols. Leiden 1966).

٤ ـ ومن الاوائل في دراسة الانساب مصعب الزبيري (٢٣٣ ـ ٨٤٧/٦ ـ ٥٠) وهو من آل عبد الله بن الزبير ، وكان عالما بالانساب . ولم يصلنا من كتابيه « النسب الكبير » « ونسب قريش » الا الثاني . وتدل استشهادات المؤرخين، كالطبري والبلاذري وأبي الفرج الاصفهاني، على اهمية هذا الكتاب ؛ وهو افضل ما وصل الينا من نسب قريش .

وتشعر خطة الكتاب بوجود اطار مستقر للنسب، اتّبعه معاصرة ابن الكلبي ومن جاء بعده . ويبدو أن مصادره واسعة ؛ فقد افتتح كتابه بالاخذ من الزهري ، « قال محمد بن شهاب الزهري » (ص ٣) . واخذ من مؤلفات تاريخية، مثل قوله: « قال الواقدي .. في بعض اسناده » (ص ٢١٩) ، أو « ذكر موسى بن عقبة عن أبي حبيبة » (ص ١٠٣) . ورجع الى اهل النسب كما يبدو من قوله « واجمع اهل النسب لاختلاف بينهم » ، أو « قال بعضهم » (ص ٤) . وافاد كثيرا من روايات في النسب والاخبار ، شفوية ومكتوبة كقوله « سمعت ابي ، عبد الله بن مصعب ، يقول » (ص ٢٩٦) و « حدثني حماد ابن عضيل بن فضالة بن رواد الليثي ، وكان حماد قد بلغ مئة سنة وسنتين (ص ٢٤١ مشيرا الى سِنِّه ليؤكد اتصال الخبر) ؛ وقوله « واخبرني بهذا الحديث مصعب بن عثمان بن نوفل بن عمارة » (ص ٣٣٩) ، و « حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير وغيره » (١٠٩) ، و « اخبرنا سليمان بن

عيّاش السعدي قال » (ص ٢٢٩) . وأخذ عن ابي الزناد ، مثل « قال ابو الزناد » و « ذكر ابو الزناد » (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

وقد يأخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة ، مثل قوله : « وحدثني بعض من يعلم » (ص ٣١٤) و « وأُخبرت عن هشام ابن يوسف الصنعاني عن معمر » (ص ٢٣٩) ، و « اخبرني من قرأ في ديباج كسوة الكعبة » (ص ٢٣٩) و « وذكر ان ابا موسى الاشعري ذكر » (ص ١٠٢) . ويأخذ عن جماعة كقوله : « قالوا » (ص ٨١) على طريقة الاسناد الجمعي . وكل ذلك يدلّ على جهده الواسع في دراساته وفي جمع اخباره . ومع ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري ان يتوسع في ذكر المصادر ، مع وجود دراسات قبله ، مثل دراسات الزهري وابي اليقظان ، ومع وجود نسّابين ، بالاضافة الى ديوان الجند .

ولا بد من ملاحظة اولية هي ان مصعب الزبيري اغنى كتابه بمجموعة طيبة من الاخبار والشعر ، فتجاوز خطة الملاحظات المركّزة التي اخذ بها ابن الكلبي .

٥ ــ يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحوّلات في الانساب ، بذكر النسب الصحيح وما اتجهت اليه بعض القبائل ؛ ولعل التمثيل مفيد هنا ؛ فيذكر أن عك (الحارث) من ولد عدنان بن اد ، ويضيف « فكل من بالمشرق من عك ينتسبون الى الازد .. وسائر عك في البلاد وفي اليمن ينتسبون الى عدنان بن اد » (ص ٥) .

ويبين ان من ولد مَعَدّ بن عدنان قضاعة (ونزار) ، ويضيف : « وقد انتسبت قضاعة الى حمير ، فقالوا : قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ .. وزوروا في ذلك شعرا » . ويستطرد الى تأكيد ذلك بقوله : « واشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدلّ على ان نسبتهم في معدّ » (ص ٥) . ويورد ملاحظة عامة

عن ربيعة ومضر ويقول :« وكـان يقال ربيعة ومضر الصريحـان من ولـد اسماعيل، فدخل من كان منهم بالعراق في النخع،ومـن كان منهم بالشـام على نسبهم في نزار » (ص ٦) . ويذكـر أن بجيلة من انمار بن نزار،وانهـم « انتسبوا الى اليمن،الاّ من كـان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى انمار بن نزار » (ص ٧) . وعند ذكر خزيمة بـن يشكر يقول « وقـد انتسبوا في الازد ، ومنهم خثعم،وهو اقبل بن انمار بن نزار .. وهـم بالسراة على نسبهم الى انمار بن نزار ؛ واذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبـين حضرموت ، كانت خثعم مع اليمن على مضر » (ص ٧) . ويتبـين من هذه الاشارات انتساب قبائـل من عدنان الى اليمن ، ممـا يُشْعِر بتحركها جنوبا قبل الاسـلام ؛ فالاشـارات اليها في الفتوح وبُعْدَها تعتبرها يمانيـة . وقد كان مألوفا في اليمـن دخـول عشائر او مجموعات في انساب غيرهـا،لضرورات زراعيـة او سياسيـة .

ولعـل اهـمّ ما في نسب قريش انـه يجمع بين الانساب والاخبار التاريخية والادبية ؛ فهـو يورد معلومات واخبارا عـن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي الى زمن الرشيـد ، واحيانا المأمون (ص ٢٢٨ ، ٢٧٢) ، اي الـى عصره .

واخبـاره احيانا وافية ومهمة ؛ وقـد يتوسع فيها الـى ما يقرب من ترجمـة شاملة ، مثل اخباره عن ابن عباس (ص ٢٦ — ٧) ، وعن عبد الله بن جدعان (ص ٢٩١ — ٧) ، وعـن الحكم بن المطلب (ص ٣٣٩ — ٣٤١) ، وعن خالد بن الوليد (ص ٣٢٠ — ١) ، وعن عبد الله بن عامـر (ص ١٠٧ — ٩) .

ويأتـي احيانا بملاحظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات (مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ — ٤٠ وانظر ٢١٨) بصدد اشتراكهـا في احداث هامة ؛ وهي اقرب الى روايات كتـب الادب ، ولكنها

على سمعتها لا ترقى الى ترجمـــة (مثلا حركة زيد بن علي ص ٦٠ ــ ١) . وقد يكتفي المؤلـف بمجرد اشارة موجزة او طويلـــة الى حدث (أنظر ص ٢٢٠ ــ ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٢٢) .

وهـــو يلتفت في اخباره الى جوانب المروءة،فيهتم بصفات الشجاعة وبالاستشهاد وبالكرم (انظـــر مثلا ص ٣٣٨ وما بعدها ، ص ١٢٧ ، ص ١٤٧ ــ ٩) . ويتحدث عن اخبار بعض القضـــاة (مثلا ص ١٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢) ؛ ويشيـــد باستقامة البعض وصلابتهم عند عرض اخبارهم (مثلا محمد بن عمران ايـــام المنصور ص ٢٨٤ ــ ٥) .

ويعطي الزبيري معلومات اجتماعية مهمـــة تتصل بالمصاهرات وبالعلاقات الاجتماعية ؛ ويُشْعِر باهمية المـــراة وبدورها (انظـــر مثلا ص ٣١٣ ــ ٣١٤) ، كما يعطي اخبارا وافيـــة عن بعض السيدات ؛ ولهذا دلالته (مثـــلا صفية بنت عبد المطلب ص ٢٣٠ ، واميمة بنت عبد بن بجاد ص ٢٣٢ ــ ٣) .

ويتميـــز الزبيري ، اضافة الى امانته ، بانـــه يعطي احيانا اخبارا لهـــا اهمية خاصة ، وقد ينفرد ببعضها ؛ ففي الاشـــارة الى وجز بن غالب يذكر انـــه « اول مَن عبد الشعرى » ، وانـــه كان سيدا في خزاعة؛ويضيف« ووجز هو ابـــو كبشة،الذي كانت قريش تنسب رسول اللـــه (ص) اليه ؛ والعرب تظن ان احـــدا لا يعمل شيئا الابمِرْق ينزعه شبهه ؛ فلما خالف رسول اللـــه (ص) ديـــن قريش قالت قريش،نزعه ابـــو كبشة ، لان ابـــا كبشة خالف الناس في عبـــادة الشعرى .. » (ص ٢٥١ ــ ٢) .

ولعلـــه ادق من يكشف النظرة الداخلية لمـــروان للسفيانيين في فترة معاوية،وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان بن عفان ، اذ قال لـــه:« ما اخذ هؤلاء ــ يعني بني حرب بن امية ــ

الخلافة الا باسم ابيك فما يمنعك ان تنهض بحقك ، فنحن اكثر منهم رجالا ... » ، وعدّد رجالهم ثم اضاف « ومنا فلان وهو فضل ، وفلان فضل ، فضول رجال ابي العاص على رجال بني حرب » . ثم يورد ردّ معاوية على مروان ، وفيه « اشهد يا مروان اني سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا،ودينَ الله دخلا،وعباد الله خَوَلا . والسلام » . وهو قول اشتهر فيما بعد دون المقدمات (انظر ص ١٠٩ — ١١٠) .

ولعل من اطرف ما اورده دور العرفاء ايام معاوية في المدينة،في بدء ولاية عاصم بن ابي هاشم بن عتبة . يقول: « وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ اعطيتهم ويدفعها اليهم . فحبس عاصم اعطية الناس وقال : يأتيني اهلها فأدفع الى كل رجل عطاءه في يده . وكانت العرفاء يأخذونها،فلا يغيبون غائبا،ولا يميتون ميتا،ويصدقون اهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا ؛ فأراد عاصم ان يصلح الديوان فلا يعطون غائبا ولا ميتا ، ويأتيه اهل العطاء فيدفع اليهم اعطيتهم وقد عرفهم ؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب ، وامتنعوا من اتيانه .. » (ص ١٥٤) . وهو نصّ يَدُلّ على تلاعب العرفاء وقبائلهم في دفع العطاء ليحصلوا على اكثر مما يحقّ لهم ، كما يبين وظيفة العرفاء واهمّيتهم .

ويكثر في الكتاب ايراد المقطوعات الشعرية والقصائد ، التي قيلت في مناسبات ، او تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر (انظر مثلا ص ٢١٦ — ٧ ، ٢٣٢ — ٣ ، ٣١٤ — ٥ ، ٣٢٤ — ٧) .

٦ — اما انساب الاشراف للبلاذري ، ففيه دراسة شاملة للتاريخ العربي الاسلامي،ومجموعة كبيرة من التراجم في اطار خطة النسب .

ويبـــدو أن تنظيم خطة الانساب لديه ولدى من سبقه يتمشّى مع تنظيم ديوان المقاتلة ، ابتداء بآل الرسول،ثـــم الاقرب فالاقرب . فهو يبـــدأ بالسيرة (ق ١ ص ٤٠ ــ ٢٧٨) بعد أن يمهّد لهـــا بمقدمة في انساب العرب ليصلها باجداد الرســـول،وبتاريخ قريش قبل الاسلام (ق ١ ص ١ ــ ٤٠) ، يليها ابـــو طالب وأولاده (العلويون) (٢٩٠ ــ ٥٢٦) ، والعباس بـــن عبد المطلب وأولاده (العباسيون) (٥٢٦ ــ ٦٧١) ، وأميّة بن عبـــد شمس (الامويون) (٦٩٠ ــ ١١٩٦ ، و ق ٢ - ١ ــ ٤١٥) ، وبقيـــة قريش (ق ٢ ٤١٥ ــ ٦٩٧) وبقية مضر (ق ٢ - ٦٩٧ ــ ١٢٦٨) . وهكـــذا خصص للسيرة حوالي $\frac{١}{١٠}$ مـــن الكتاب،ومثل ذلك للعلويين ، وخصّص للأمويين حوالي $\frac{١}{٤}$ الكتـــاب،وللعباسيين حوالـــي $\frac{١}{١٦}$ منه،ولبقية مضر اقـــلّ من ربعه .

لقـــد تناول البلاذري في كتابه قبائل مضر، الا القليل منهـــا، (مثل كلاب ، هلال ، قشير) ولـــم يتناول ربيعة واليمن،وان وجد ما يدل على أن دراسته تجاوزت مـــا في الكتاب ، الا انـــه توفي قبل أن يتـــم كتابه (حاجي خليفة ١/٢٧٤ . وفي تـــاج العروس اشـارات اليه تتعلق باليمـــن) .

تنـــاول البلاذري العباسيين بتوسع الى ايـــام المنصور ، واوجز في اخبار المهدي والرشيد (ق ١ ص ٦٦٧ ــ ٦٧١) ؛ وهذا يسترعي الانتبـــاه اذا تذكرنا معاصرة البلاذري للعباسيين مـــن ايـــام المأمون الى ايـــام المعتمد (ت ٢٧٩ هـ) ، وصلتـــه بالخلفاء العباسيين من المتوكـــل (٢٤٧ هـ) الى المعتز (ت ٢٥٥ هـ) . فهل التزم البلاذري بالتوقف عنـــد حدود المعاصرة ؟ ان شيخـــه المدائني تناول التاريخ العربي الى ايـــام المعتصم ، وان بعـــض معاصريه،كخليفة بن خياط واليعقوبي والبسوي (٢٧٧ هـ) والطبري، تناولوا هـــذا التاريخ الى فترات تالية بين الواثق (ت ٢٣٢ هـ) والمكتفي (ت ٢٩٥ هـ) . أم ان البلاذري سار على هيكل اهـــل

النسب مثل مصعب الزبيري وابـن الكلبي ؟ لقد بـدأ تقليص العرب في الديـوان منذ قدوم العباسيين،ولكن هذا لم يحصـل جديا الا ايـام المأمون ، ثم جـاء المعتصم فأسقط العـرب من الديوان . وهذا يعنـي ان تسجيل المقاتلـة العرب انتهى في مطلع فترة المعتصم،ممـا يجعل التوقف في اطار الانساب طبيعيـا في الهيكـل والتدرج .

وتبـدو ميزة انساب الاشراف في انـه قـدم تاريخا للأشراف العرب في مختلف الحقول ، مـع تاريخ الخلافة ؛ وهو نسق فريد في سعة افقـه وشموله .

٧ ـ وقـد افـاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متعددة ـ مـن اساليب كتب الطبقات،وكتب الاخباريين،اضافة لكتب الانسـاب . ولئن كان هيكله هو اطـار الانساب،فان عناوينه الفرعية للأحداث الهامة في فترة كـل خليفة،تذكّر بعناوين كتـب الاخباريين ، في حين ان تناوله للسيرة ولترجمـات الاشراف متأثر بخـط التراجم والطبقات . ويلاحظ بين اساتذته المدائنـي (٨٣٩/٢٢٥) شيـخ الاخباريين ، وابـن سعد (٨٤٤/٢٣٠) صاحـب الطبقات ، ومصعب الزبيري وابـن الكلبي .

افـاد البلاذري من كتب الاخباريين ، خاصة ابـي مخنف (برواية ابن الكلبي أو مباشرة من كتبـه) وعوانة بن الحكم ، وبصورة واسعة مـن المدائني مصدره الاول عن الخلفاء (بالاخذ عنه مباشرة أو بالنقل من كتبـه) . ومن دراسات أصحاب المغازي في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابـن اسحاق والواقدي وكاتبه محمد بن سعد ، كما افـاد من اهل الانساب ، خاصـة ابـي اليقظان ومحمد ابن السائب الكلبي،وابنـه هشام،ومصعب الزبـيري .

واضاف البلاذري بحوثه ودراساته بالاخذ من شيوخه ومن روايات شفوية اخرى ، وافاد من اسفاره في جمع روايات محلية موثقة من اشياخ المدن التي زارها في الشام والثغور والمدينة، اضافة للمدن العراقية .

والبلاذري يدقّق مصادره ، ويفاضل بين الروايات، ويبدي رأيه احيانا لتوثيق رواية . وقد يورد صورا لرواية بأسانيد مختلفة لاظهار مجال الخلاف ، ولكنه كثيرا ما يأخذ معلوماته من مجموعة مصادر ليعطي خبرا متصلا . ويبدو أن النظرة الى المؤرخين السابقين (من اخباريين، وأصحاب مغازي، وطبقات، وتاريخ، ونسّابين) استقرّت في عصره ومكّنته من ذلك . وهنا يختلف البلاذري عن الطبري في اسلوبه التاريخي ؛ فبينما يعتمد الطبري اساسا احد مصادره في صدر الاسلام (كابن اسحق في السيرة، او ابي مخنف في الثورات العلوية) ثم يضيف روايات فردية ليعطي معلومات مكمّلة او مباينة ، يبني البلاذري قاعدة معلوماته على ما هو مقبول لدى مجموعة من المؤرخين ليعطي اخبارا يبداها بـ (قالوا) ، ثم يورد روايات مفردة ليتمّ اخباره ، وهو اسلوب بالغ الاهمية في فهم البلاذري . وفي حين يركّز الطبري على المدرسة العراقية في اخباره ، يبدو البلاذري اكثر استفادة من مدرسة المدينة خاصة في احداث الفتوح والاحداث التي تتّصل بتاريخ الأمة في الفترات الاولى ؛ كما انه يعطي اهمية خاصة لروايات المنطقة التي وقع فيها الحادث، ويتمّها بروايات اخرى خارجية .

ويدقق البلاذري في ايراد التواريخ والارقام ، ويراعي التسلسل الزمني في كتابه، الا حيث يقتضي هيكل النسب التقديم والتأخير (مثلا معاوية قبل عثمان ، وترجمة عمر بن الخطاب متأخرة) . وعند حديثه عن كل خليفة يتناول ما وقع في عهده من احداث ،

كما يعنى بفعاليات الاحزاب السياسية ، وخاصة الخـوارج ؛ وهو افضل المصادر عنهم واوفاهـا في صدر الاسلام ..

ان ثقافـة البلاذري ، كما يبدو من مصادره وشيوخه، ومن اشتغاله بالترجمة، ومن مواهبـه الشعرية ، تشير الى انـه جمع بين الاهتمام بالدراسات العربية والاسلامية، وبالثقافات الاجنبية؛ هذا مع تركيزه على احوال العـرب ودورهم التاريخي في الاسلام ؛ وهو لذلك يبدي اهتمامـا بالنواحي الاجتماعية والثقافية والادبية في اخباره، ويتوسّع فيمـا يورد من مقتطفات شعرية، وإن تحاشى ايراد القصائد المطولـة .

وليس هـذا مجال تحليل كتابه الضخم ، بـل يكفي ايراد ملاحظات موجزة (خارج تاريخ الخلفـاء) .

٨ ــ ان ميـزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي في كون انساب الاشراف تاريخـا للأشراف العرب في تراجمهم، كلّ في موقع نسبـه ؛ وهو بذلك يعبّر عن اتصال هـذا التاريخ ، ويرى في الاشراف مركز الاهميـة من هذا التاريخ ، ويعبّر عـن النظرة الاجتماعية لهـم عند العرب . وهو، في تراجمه وما يقدّمه من اخبار وآثـار، معجم ضخم للتراجم العربية (يشبه المعاجـم الوطنية الكبرى الحديثة) . وبعض تراجمـه واسعة تسترعي الانتباه، مثل ترجمته للأحنف بن قيس (ق ٢ ص ٩٩٤ ــ ١٠١٠) وللحجاج (ق ٢ ص ١٢١٧ ــ ١٢٥٨ اضافة لاخباره ايـام عبد الملك والوليد) ، ولبعض الفصحاء والشعراء، مثـل النابغة الذبياني (ق ٢ ص ١٠٩٣ ــ ٦) واكثم بن صيفي (ص ١٠٧٣ ــ ١٠٨٣) والفرزدق (ص ٨٧٦ ــ ٨٩٥) وجرير (ص ٩٤٧ ــ ٩٦٢) وخالد بن صفوان (ص ٩٧٧ ــ ٩٩١) . وقـد يفيض في الترجمة اكثر من المعنيّين بحقـل الاختصاص، كما في ترجمته لابي الاسود الدؤلي (ق ٢ ص ٧١٠ ــ ١٣)، وهو بذلك يكشف جانبـا من اهتماماته الادبيـة .

وفي انســـاب الاشـراف ثروة من الاخبار عن المسلمين الاولين ، فيذكر في كل ترجمة دخـــول الشخص في الاسلام، ومزاياه، ودوره، ومواقفه، واخبـــاره الخاصة ؛ وهي ترجمات مسهبة عادة ، وتختلف اهمية كل منهـــا حسب دور المترجـــم لـــه .

ويُعْنَـــى البلاذري بأمور القبائل في اطارها لنسبها ، فيقدّم معلومات واسعة عن قريش قبل الاســـلام وبعده، بتفاصيل لا تَرِد عند مؤرخ آخـــر ؛ وينبّه الى امور طريفة (مثلا في حديثه عـــن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقـــول : « قيل ما ساد قريش مُمْلِق غير عتبة وأبي طالـــب » (ق ٢ ص ٤٠٧ ، وانظـــر اخباره عن محاولة عثمان بـــن الحويرث أن يتراس في قريش، ويرتبط بقيصر الروم (ق ٢ ص ٤٨٨) ، ومثـــل اشاراته للايلاف (ج ١ ص ٥٩ ـــ ٦٠) .

ويهتـــم البلاذري بأيام العرب، ويعطي معلومات مركّزة ومهمة عن مجموعة منها، مثل يـــوم ذي نجب (ق ٢ ص ٩٢٤ ـــ ٦ ، ٩٠٣ ـــ ٤) ، ويـــوم غيط المدرة او صحراء فلج (ق ٢ ص ٩٢٥) ويـــوم قحقح (ق ٢ ص ٩٢٦) ويوم ذي طلوح (ق ٢ ص ٩٢٨ ـــ ٩٣٠) ، ويوم المروت (ق ٢ ص ٩١٨ ـــ ٩) . وداحس والغبراء (ق ٢ ص ٩٣٤ ـــ ٥) ، ويـــوم القريتين (ق ٢ ص ٨٣٠ ـــ ١) ، ويـــوم بزاخة (ق ٢ ص ٨٣١ ـــ ٢) ويوم النسار ويـــوم الجفار (ق ٢ ص ٧٣٨) ، وأيـــام الفجار ويوم ذات نكيف (ج ١ ص ٧٥) ويـــوم نخلة (ج ١ ص ١٠١ـــ ٢) ، ويـــوم شمطة (ج ١ ص ١٠٢ ـــ ٣ و ق ١ ص ٧٠٠) ، ويـــوم الحريرة أول أيـــام الفجار (ق ٢ ص ٧١٩) ، ويوم نطاع (ق ٢ ص ٨٣٥) ويـــوم الشيطين (ق ٢ ص ٨٤٥) ويـــوم جبلة (ق ٢ ص ٨٥٢ ـــ ٣ ، ٨٥٧) ويـــوم أوارة (ق ٢ ص ٨٦٦ ـــ ٧) ويـــوم قشاوة (ص ٩٤٠) ويـــوم الكلاب الاول (ق ٢ ص ٨٩٧) ويـــوم الكلاب الثاني (ق ٢ ص ٧٩١ ـــ ٢ ، ١٠٢٣) . هـــذا، وترد اشارات أكثر ايجازا لايام اخرى (مثل يوم

خـــور(ق ٢ ص ٨٦٠) ويوم الهباءة (ق ٢/١٠٢٣) ويوم رحرحان (ق ٢ ص ٨٦٣) ويـــوم الغبيط (ق ٢ ص ٩٤٣) ويـــوم سلمان (ق ٢ ص ٨٧٣) .

وهـــو يورد مقتطفات في مواضع عـــدة من نقائض جرير والفرزدق (انظـــر ق ٢ ص ٩٣٤ ، ٩٤٠) . ويلاحظ ان البلاذري حاول الافادة من اكثـــر من مصدر في أخبار الايـــام (انظر ق ٢ ص ٩٢٥) وفـــق اسلوبه ، ولكن يبدو ان جـــلّ اعتماده كان على محمد بن السائب الكلبي وابنـــه هشام (ق ٢ ص ٩٤١ ، ٨٦٧) ، وهو قليل الاشارة الى ابـــي عبيدة (ق ٢ ص ٩٤١) . وقـــد يأخذ عن راوية من البـــدو (مثل مراش بن اسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧) أو يكتفي باشارة عابرة (مثل « قـــال بعضهم ق ٢ ص ٩٢٤) . وهكذا يحفظ البلاذري روايات مبكّرة عن الايـــام توازي روايات محمـــد بن حبيب (عن ابـــي عبيدة) ، ولهذا اهمية خاصة .

ويتحـــدث البلاذري عن الشؤون المختلفة للقبائل قبل الاسلام ، من غزوات اعتيادية (مثل غارات بنـــي ثعلبة بن يربوع على بني أسد (ق ٢ ص ٧٣٥ ــ ٦ ، وانظر ٩٣٠ ــ ٢) ، الى احلاف (مثـــل حلف قريش مع الاحابيش وظروفه ق ٢ ص ٧٢٢ ، ٧٢٨) ، أو محاولات ثـــأر مهمة (مثل مقتل حُجر بن عدي على يـــد بني أسد ، ومحاولات امرىء القيس للثأر ق ٢ ص ٧٤٠ ــ ١) أو شـــؤون اخرى مثل الاتفاق على جعل ولايـــة الموسم والافاضة بالناس الى بني تميم (ق ٢ ص ١٠٢١ ــ ٢) ، بـــل يعطي معلومات طريفة عن الرادفة لدى المناذرة ، ومعناها ، ومهمـــة الردف ، وامتيازاتـــه (ق ٢ ص ٩١٧ ــ ٨) .

ويورد البلاذري معلومات بالغـــة الاهمية عن الحياة الاقتصادية خلال القرنين الاولين (انظر مثلا ق ٢ ص ٧٥٣ ، ٩٨٨ ، ١٠٠٧) بما في ذلك اثـــر الجفاف في البادية على ميـــاه بعض القبائـــل

وحركتها ، كما يقدّم معلومات ثمينة عن نظرة العرب للأرض، وعن تحوّل الاشراف الى ارستقراطية ملاكة ؛ وهو في طليعة المؤرخين الذين اهتموا بهذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان .

كما انه يعطي معلومات غنية في الناحية الاجتماعية (انظر ق ٢ ص ١٠٠٦ ، ٧٥٠) . واخباره عن حركة القبائل وانتقالها من الجزيرة الى الامصار لا مثيل لها في الشمول والتفاصيل والدقة (وإنْ قارَبَها الطبري احيانا في السعة) .

٩ — ويستند البلاذري في معلوماته عن القبائل الى ابي اليقظان (٨٠٥/١٩٠) لدرجة كبيرة ، ويأخذ عنه عادة بعبارة : قال ابو اليقظان (ق ٢ ص ٨٧١ ، ٢) أو « وفي رواية ابي اليقظان » (ق ٢ ص ٨٩٥) ، وبذلك يؤكد الاشارات الى اهميته ودوره في النسب .

كما انه يأخذ كثيرا عن ابن الكلبي (هشام بن محمد) برواية مباشرة (عن ابنه) أو بالاخذ من كتابه (ق ٢ ص ٤٥ ، ١٠١ ، ١٥٤) ويعتمد عليه اعتمادا واسعا في اخباره عن قريش قبل الاسلام . ويأخذ عن ابيه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام،او بالاخذ عنه مباشرة (قال الكلبي ق ٢ ص ٣٤ ، ٦٦) وبهذا يؤكد وجود كتاب لمحمد بن السائب في الانساب ؛ وهو يأخذ عنه احيانا دون اشارة واضحة،مثل تعقيبه : وقال غير الكلبي (ق ٢/٨١٩) ويبدي تفضيله له حين يقول : « وقال غير الكلبي .. وقول الكلبي اثبت .. (ق ٢ ص ٨٢٧) .

واذا كان البلاذري في فترة قبل الاسلام يعتمد على روايات فردية،فانه في الفترات الاسلامية يستند في الاساس في اخباره على مصادر متعددة،فيبدأها بـ (قالوا) ، تعضدها روايات فردية مسندة (انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها) . ونكتفي بالتمثيل من

السيرة . ففي حين يعتمد الطبري على سيرة ابن اسحٰق ، فان البلاذري يعتمد بالدرجة الاولى على الواقدي وتلميذه محمد بن سعد ، اضافة الى رجوعه الى مؤسس مدرسة المغازي (الزهري ٨٥ رواية ، وعروة بن الزبير حوالي ٤٠ رواية) ، اما ابن اسحٰق فيرجع اليه بقدر متواضع ٤٣ رواية) . وكمثل لذلك ننظر الى اخباره عن بدر لنرى أن صلب معلوماته يرد تحت « قالوا » (٢٨٨ — ٩٠ ، ٢٩١ — ٢ ، ٣٠٤ — ٥) . وبجانب ذلك ترد اخباره عن الواقدي (٢٩٤ — ٨ ، ٢٩٨ — ٣٠٢ ، ٣٠٥ — ٣٠٨) ويأخذ الاخبار عن ابن سعد مباشرة ، كما أن جلّ اخبار الواقدي يرد في حديث ابن سعد وبعضها بالنقل من كتبه « قال الواقدي ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٥ وبعدها » وهو يتسم هذا بروايات فردية مسندة عن محدّثي المدينة ورواتها .

يبدو أن البلاذري توسع في مفهوم « الاشراف » ؛ فهو لا يقتصر على من يأخذ شرف العطاء ، ولا على من ينتسب الى اشراف القبائل ، كما انه لا يقتصر على من سجل في ديوان المقاتلة الذي لم يعد يشمل الا جزءا من العرب في الامصار ، من ايام المروانيين ، بل انه شمل هؤلاء جميعا وانتبه بصورة خاصة الى من صار له دور في الحياة العامة السياسية والادارية والفكرية (الشعراء خاصة) .

وهو على صلته بالعباسيين يحاول أن يكون موضوعيا ؛ ولعلّ صلته هذه افادته في الاطلاع على روايات داخلية عن الدعوة العباسية وعن الفترة الاولى ، وفي الافادة من الدواوين . وهو على العموم محايد متزن . وهو في الانساب يعبّر عن نظرة اجتماعية عربية الى دور الاشراف العرب في تاريخ الامة ، كما يعبّر عن اتصال خبراتها وسيرها .

د. عبد العزيز الدوري